المحور الثاني: بين علم المعجم وعلم المصطلح

مقدمة:

يبرز كلٌّ من **علم المعجم** و**علم المصطلح** بوصفهما حقلين متكاملين يعكسان وجهين متباينين لوظيفة اللغة؛ أحدهما ينزع إلى رصد الثروة اللفظية للغة كما هي في تداولها العام، والآخر يسعى إلى ضبط هذه الثروة وتقنينها داخل مجالات معرفية متخصصة.

وقد أسهمت التحولات التي عرفتها اللسانيات الحديثة، منذ أعمال فرديناند دي سوسير وصولًا إلى تصورات نعوم تشومسكي، في إعادة النظر في طبيعة العلاقة بين الكلمة والمفهوم، مما أفضى إلى بروز الحاجة إلى تمييز دقيق بين المعجم بوصفه مستودعًا لغويًا مفتوحًا، والمصطلح باعتباره وحدة مفهومية مضبوطة، كما أسهمت جهود علماء المصطلح، وعلى رأسهم يوجين ووستر، في تأسيس قواعد منهجية تهدف إلى توحيد المصطلحات وتنظيمها وفق أنساق علمية دقيقة.

ومن هذا المنطلق، يسعى هذا الدرس إلى استجلاء أوجه الاختلاف والتكامل بين علم المعجم وعلم المصطلح، من خلال تحليل طبيعتهما ووظائفهما، والوقوف عند آليات انتقال الكلمة من مجالها العام إلى حقلها التخصصي.

أولًا: علم المعجم:

1/ تعريف علم المعجم:

يُعدّ **علم المعجم** أحد الفروع الأساسية في اللسانيات، ويُعرف بأنه العلم الذي يدرس **مفردات اللغة (Lexicon)**من حيث بنيتها، ومعانيها، وتاريخها، واستعمالها، وعلاقاتها الدلالية، ويمكن التمييز داخله بين مستويين رئيسيين:

أ. علم المعجم النظري(Lexicology) : يهتم بدراسة:

- بنية الكلمة (صرفيًا)
- معناها (دلاليًا)
- تطورها التاريخي
- العلاقات بينها (ترادف، تضاد، اشتراك لفظي...)

مثال: كلمة "**كتب** "في العربية:

- تحمل معنى الفعل (الإنجاز)
- وتُشتق منها كلمات مثل:
  - كتاب
  - مكتبة
  - كاتب

هنا يدرس علم المعجم العلاقات الاشتقاقية والدلالية بين هذه المفردات.

ب. علم صناعة المعاجم(Lexicography) : يهتم بكيفية:

- جمع الكلمات
- ترتيبها
- شرحها
- تقديمها في معاجم

ومن أشهر المعاجم العربية:

- *لسان العرب* لـ ابن منظور
- *القاموس المحيط* لـ الفيروزآبادي

هذه المعاجم تمثل تطبيقًا عمليًا لعلم المعجم.

2/ خصائص علم المعجم:

أ. **التعدد الدلالي(Polysemy)** : هو الذي يعني الكلمة الواحدة قد تحمل عدة معانٍ حسب السياق.

مثال: كلمة "**يد**":

- عضو في الجسم
- السلطة (له يد في الأمر)
- النعمة (له عليّ يد)

المعجم يسجل كل هذه المعاني دون تقييد بمجال علمي محدد.

ب. الاشتراك اللفظي(Homonymy) : وهو الذي يعني وجود ألفاظ متشابهة في الشكل مختلفة في المعنى.

مثال: "**العين**": قد تعني

- عضو بصري
- نبع ماء
- جاسوس

هذه الظاهرة تُعد من أهم موضوعات علم المعجم.

ج. الترادف: وهو وجود أكثر من لفظ لمعنى واحد أو قريب منه.

مثال:

- أسد / ليث / غضنفر

يهتم المعجم بتسجيل هذه الألفاظ وشرح فروقها الدقيقة.

د. التطور الدلالي: وهو الذي تتغير فيه معاني الكلمات عبر الزمن.

مثال: كلمة "**السيارة**":

- في التراث: القافلة
- في العصر الحديث: المركبة

يدرس علم المعجم هذا التحول.

3/ علم المعجم في التراث العربي:

تميّزت اللغة العربية بتراث معجمي غني جدًا، حيث اهتم العلماء مبكرًا بجمع اللغة، و**من أبرز مظاهره:**

- جمع اللغة من أفواه العرب (الاحتجاج اللغوي)
- تصنيف المعاجم حسب:
  - الألفاظ (معاجم لفظية)

- المعاني (معاجم موضوعية)

مثال: *كتاب العين* لـ الخليل بن أحمد الفراهيدي يعد أول معجم عربي، اعتمد ترتيبًا صوتيًا فريدًا.

4/ الفرق بين الكلمة في المعجم والسياق:

الكلمة في المعجم:

- تُعرض بشكل مجرد
- تحمل إمكانيات دلالية متعددة

أما في السياق:

- تأخذ معنى واحدًا محددًا

مثال: كلمة "**فتح**":

- في المعجم: لها معانٍ متعددة
- في الجملة: *فتح الطالب الكتاب* ⟵معنى محدد

هذا ما يجعل علم المعجم مرتبطًا بـ: **علم الدلالة(Semantics)**

5/ علاقة علم المعجم باللسانيات الحديثة:

في اللسانيات الحديثة، لم يعد المعجم مجرد قائمة كلمات، بل أصبح:

- نظامًا ذهنيًا في عقل المتكلم (Mental Lexicon)
- وشبكة من العلاقات الدلالية

وقد اهتم به علماء مثل:

- فرديناند دي سوسير
- نعوم تشومسكي

حيث ربطوا بين المعجم والبنية العميقة للغة.

مثال: كلمة "**نص**"

- في المعجم: تعني الرفع أو الإظهار
- في اللسانيات:
  - وحدة لغوية كبرى
  - موضوع للتحليل (تحليل الخطاب)

هنا نلاحظ الانتقال من: **المعنى المعجمي العام** ← **إلى التخصص العلمي**

إذن يمكن أن نخلص إلى أن علم المعجم في كونه علمًا يدرس الكلمة بوصفها وحدة لغوية مفتوحة الدلالة، تتغير حسب السياق، وتتعدد معانيها، وترتبط بتاريخها واستعمالها، وهو بذلك:

- يعكس ثراء اللغة
- لكنه لا يحقق الدقة العلمية المطلوبة في التخصصات

وهذا ما مهّد لظهور **علم المصطلح** الذي يسعى إلى ضبط هذا التعدد.

ثانيًا: علم المصطلح:

1/ تعريف علم المصطلح:

يُعدّ **علم المصطلح** من الحقول الحديثة، ويُعنى بدراسة **المصطلحات العلمية والتقنية** من حيث:

- نشأتها
- بنيتها
- دلالتها
- طرق توحيدها واستعمالها داخل الحقول المعرفية

ويختلف عن علم المعجم في كونه لا يدرس الكلمات عمومًا، بل يركّز على **الألفاظ حين تتحول إلى أدوات مفهومية دقيقة** داخل نظام علمي محدد.

2/ مفهوم المصطلح:

هو وحدة لغوية (كلمة أو عبارة) تعبّر عن **مفهوم محدد بدقة** داخل مجال معرفي خاص، ولا تحتمل الغموض أو التعدد الدلالي داخل ذلك المجال.

مثال: في اللسانيات

- "**الفونيم**": أصغر وحدة صوتية مميزة
- "**المورفيم**": أصغر وحدة صرفية ذات معنى

لا يمكن تغيير معناهما حسب السياق، بخلاف الكلمات العامة.

3/ خصائص المصطلح:

أ. الدقة(Precision) : المصطلح يجب أن يكون ذا معنى واحد داخل تخصصه.

مثال: "**البنية العميقة**" في النظرية التوليدية عند نعوم تشومسكي تشير إلى مستوى محدد من التمثيل النحوي، ولا يمكن استعمالها بمعنى عام.

ب. الأحادية الدلالية(Monosemy) : على خلاف المعجم، المصطلح يسعى إلى **إلغاء التعدد الدلالي.**

مثال: كلمة "نص" في المعجم: متعددة المعاني، في اللسانيات النصية: مفهوم محدد له خصائص (الترابط، الانسجام...)

ج. الارتباط بنظام مفاهيمي: كل مصطلح لا يُفهم منفردًا، بل ضمن شبكة مفاهيم.

مثال: مصطلحات

- دال
- مدلول
- علامة

لا تُفهم إلا داخل نظرية فرديناند دي سوسير.

د. القابلية للتقييس: من أهم أهداف علم المصطلح:

- توحيد المصطلحات
- تقليل الاختلاف بين الباحثين

مثال: Linguistics لسانيات (بدل: علم اللغة / فقه اللغة)

4/ نشأة علم المصطلح:

تطور علم المصطلح في القرن العشرين مع الحاجة إلى:

- تنظيم المعرفة العلمية
- تسهيل التواصل بين العلماء

ومن أبرز رواده:

- يوجين ووست مؤسس علم المصطلح الحديث

وقد وضع مبادئ مثل:

- ربط المصطلح بالمفهوم
- ضرورة التوحيد

5/ مستويات العمل المصطلحي:

أ. المستوى المفهومي: هو الانطلاق من المفهوم أولًا، ثم البحث عن تسمية له.

مثال: في اللسانيات

- مفهوم "أصغر وحدة صوتية" يعني فونيم

ب. المستوى اللغوي: هو اختيار اللفظ المناسب للمفهوم وفق قواعد اللغة.

مثال: ترجمة Morpheme → مورفيم وهو (تعريب صوتي)

ج. المستوى التداولي: هو كيفية استعمال المصطلح في الخطاب العلمي.

مثال: استعمال "لسانيات" في الأبحاث بدل "علم اللغة" لضبط المجال.

6/ إشكالات المصطلح:

أ. تعدد الترجمات: مثالPhonology :

- علم الأصوات
- فونولوجيا
- الصوتيات الوظيفية

هذا يؤدي إلى اضطراب الفهم.

ب. التعريب أو الترجمة: مثال:

- Syntax → نحو / تركيب
- Morphology → صرف / مورفولوجيا

هل نُعرب أم نترجم؟ إشكال قائم.

ج. غياب التوحيد: اختلاف المصطلحات بين: المشرق والمغرب العربي

مثال: مصطلح: "**البنية**"

- في اللغة العامة: تعني البناء
- في اللسانيات: تشير إلى نظام العلاقات بين العناصر
- في تحليل الرواية تعني: "البنية السردية"، تنظيم الأحداث، والعلاقات بين الشخصيات، هنا المصطلح أصبح أداة تحليل علمي.

يمكن القول إن علم المصطلح هو علم يسعى إلى تحويل اللغة من أداة تواصل عامة إلى أداة دقيقة لبناء المعرفة العلمية، وهو بذلك:

- يحدّ من الغموض
- يضبط المفاهيم
- يسهم في توحيد الخطاب العلمي

بخلاف علم المعجم الذي يعكس ثراء اللغة، فإن علم المصطلح يسعى إلى **تقنين هذا الثراء**.

ثالثًا: الفرق بين علم المعجم وعلم المصطلح

يمثّل التمييز بين **علم المعجم** و**علم المصطلح** نقطة مركزية في الدراسات اللسانية الحديثة، إذ يعكس الانتقال من **اللغة بوصفها ظاهرة عامة** إلى **اللغة بوصفها أداة علمية دقيقة**، ورغم اشتراك المجالين في الاهتمام بالكلمة، فإنهما يختلفان في المنطلقات والأهداف والوظائف.

المنطلقات/الأهداف/ الوظائف	في علم المعجم	في علم المصطلح
الاختلاف في طبيعة الوحدة المدروسة	الوحدة الأساسية هي **الكلمة** بوصفها عنصرًا لغويًا عامًا، قد تحمل: • معاني متعددة • استعمالات مختلفة • حمولة ثقافية وتاريخية **مثال:** كلمة "**رأس**" • رأس الإنسان • رأس المال • رأس الجبل المعجم يسجل هذا التعدد دون إقصاء	الوحدة الأساسية هي **المصطلح** بوصفه: • أداة مفهومية • محدد الدلالة • مرتبطًا بحقل معرفي **مثال:** "**الرأس**" **في اللسانيات البنيوية:** • قد يدل على "العنصر المركزي في البنية التركيبية" هنا لا مجال للتعدد الدلالي.
الاختلاف في طبيعة المعنى	• المعنى **وصفي** • يعكس الاستعمال اللغوي كما هو مثال: كلمة "**دلالة**" تعني الإشارة أو المعنى	• المعنى **تقريري/اصطلاحي** • يُبنى وفق اتفاق علمي **مثال:** كلمة "**دلالة**" في اللسانيات: مفهوم علمي يرتبط بعلم مستقل(Semantics)
الاختلاف في الهدف	• حفظ اللغة • تفسير الألفاظ • رصد تطورها	• تنظيم المعرفة • توحيد المفاهيم • تسهيل التواصل العلمي لذلك يُعد علم المصطلح أكثر ارتباطًا بالمجالات، العلمية، التقنية، الأكاديمية
الاختلاف في المنهج	يعتمد منهجًا: • وصفيًا • تاريخيًا	يعتمد منهجًا: • مفهوميًا

	• استقرائيًا **مثال:** تتبع تطور كلمة "السيارة" من معنى القافلة إلى المركبة.	• معياريًا حيث ينطلق من: **المفهوم** ← **ثم التسمية**
الاختلاف في السياق الاستعمالي	السياق: • مفتوح • متغير • غير مقيّد مثال: كلمة "**نظام**" تعني ترتيب أو تنظيم	السياق: • تخصصي • مضبوط • محدد مثال: كلمة "**نظام**" في اللسانيات: بنية من العلاقات(System)
الاختلاف في العلاقة بالدلالة	• يقبل: ○ الترادف ○ التضاد ○ الاشتراك	• يسعى إلى: ○ إزالة الترادف (توحيد المصطلح) ○ تقليل الاشتراك ○ تحقيق الدقة
الاختلاف من حيث الوظيفة المعرفية	• أداة لفهم اللغة • يعكس الواقع اللغوي لذلك نجد: المتكلم يحتاج إلى المعجم ليدرس **الكلمة بوصفها أثرًا لغويًا**	• أداة لإنتاج المعرفة • يساهم في بناء النظريات لذلك نجد: الباحث يحتاج إلى المصطلح ليدرس **الكلمة بوصفها أداة مفهومية**

يتبيّن أن الفرق بين المجالين ليس شكليًا، بل هو:

- فرق في **طبيعة التفكير**
- وفرق في **وظيفة اللغة**

حيث:

- يمثّل علم المعجم **ذاكرة اللغة**
- ويمثّل علم المصطلح **عقل المعرفة العلمية**

ومن هنا فإن العلاقة بينهما هي: **علاقة انتقال من الوصف إلى التقنين، ومن التعدد إلى التوحيد**

رابعًا: العلاقة بين علم المعجم وعلم المصطلح

على الرغم من الاختلافات الجوهرية بين **علم المعجم** و**علم المصطلح**، فإن العلاقة بينهما ليست علاقة تعارض، بل هي علاقة **تكامل وتداخل وظيفي ومعرفي**، إذ يشكّل كلّ منهما امتدادًا للآخر داخل المنظومة اللسانية.

العلاقة	علم المعجم وعلم المصطلح
من حيث الأصل اللغوي	ينطلق علم المصطلح أساسًا من **المخزون المعجمي للغة**، أي أن: المصطلحات ليست كيانات مستقلة، بل هي ألفاظ معجمية خضعت لعملية تخصيص دلالي. مثال: كلمة "**بنية**" • في المعجم: تعني البناء أو التكوين • في اللسانيات: أصبحت مصطلحًا يدل على نظام العلاقات داخل اللغة هذا يعني أن: **المعجم هو المصدر، والمصطلح هو التحويل الوظيفي لهذا المصدر**
من حيث التحول الدلالي	يمر اللفظ من حالته المعجمية إلى حالته المصطلحية عبر عملية: – **التخصيص(Specialization)** : أي تضييق المعنى العام ليصبح دقيقًا. مثال: كلمة "**نص**" • في المعجم: تعني الرفع أو الإظهار • في اللسانيات النصية: وحدة لغوية كبرى ذات خصائص محددة **- النقل(Semantic Transfer)** : نقل الكلمة من مجال عام إلى مجال علمي. مثال: كلمة "**حقل**" • في المعجم: أرض زراعية • في اللسانيات: "حقل دلالي (Semantic Field) "
من حيث الوظيفة	**علم المعجم:** • يصف اللغة كما هي • يعكس ثراءها وتعددها

	علم المصطلح: • يعيد تنظيم هذا الثراء • يضبطه وفق حاجات المعرفة إذن: • المعجم = **وصف** • المصطلح = **تقنين**
من حيث التفاعل	العلاقة بين المجالين ليست خطية فقط (من المعجم إلى المصطلح)، بل **تبادلية**: **أ. من المعجم إلى المصطلح:** • استثمار ألفاظ موجودة • تخصيصها علميًا مثال: "دلالة" ← أصبحت مصطلحًا في علم الدلالة **ب. من المصطلح إلى المعجم:** • بعض المصطلحات تنتشر وتدخل اللغة العامة مثال: "تحليل"/ "بنية"/ "استراتيجية"، أصبحت مستعملة في الحياة اليومية.
في اللسانيات العربية	يظهر هذا التداخل بوضوح بسبب: • الترجمة من اللغات الأجنبية • الحاجة إلى تأصيل المصطلح **مثال:** مصطلح "**العلامة**" • في المعجم: تعني الأثر أو الإشارة • في اللسانيات (عند فرديناند دي سوسير) تتكون من: ▪ دال ▪ مدلول هنا تم توظيف كلمة معجمية داخل إطار نظري دقيق.
من حيث النظام المعرفي	يمكن تصور العلاقة كالتالي:

	• المعجم = **مستودع لغوي** • المصطلح = **نظام مفاهيمي** المصطلح لا يُفهم إلا داخل شبكة مفاهيم مترابطة، فعلم المعجم يوفّر المادة اللغوية الخام، وعلم المصطلح يعيد تشكيلها داخل نسق مفاهيمي منظم

إذن العلاقة بينهما هي:

- علاقة **تكامل** لا تعارض
- علاقة **تحويل** من العام إلى الخاص
- علاقة **تفاعل** مستمر بين اللغة والمعرفة

حيث:

- لا يمكن لعلم المصطلح أن يستغني عن المعجم
- ولا يكتمل المعجم الحديث دون وعي مصطلحي

ومن هنا يمكن القول إن تطور اللسانيات العربية مرهون بمدى قدرتها على تحقيق التوازن بين ثراء المعجم ودقة المصطلح.

الخاتمة:

تطوير البحث اللساني العربي يظلّ رهينًا بمدى تحقيق التوازن بين ثراء المعجم ودقة المصطلح، وبالقدرة على بناء جهاز مفاهيمي موحّد يستجيب لمتطلبات المعرفة الحديثة، دون التفريط في خصوصية اللغة العربية وأصالتها، ومن هنا، يغدو الوعي بالمصطلح ليس مجرد أداة تقنية، بل شرطًا أساسًا لإنتاج معرفة علمية رصينة ومنظمة.